

أولاً: أفعال الحركة الانتقالية القوية :

تتألف هذه المجموعة من خمسة أفعال ، مرتبة ترتيباً هجائياً . ويلحظ أن القاسم المشترك لأفعالها يتمثل في بعض الملامح نحو : " الحركة ، الانتقال ، القوة " ثم ينفرد كل فعل بلامح مميزة خاصة به .

المادة	الفعل	
01	د ف ع	(دفع : يدفع)
02	ر م ي	(رمى : يرمى)
03	ق ذ ف	(قذف : يقذف)
04	ق ض ض	(انقض : ينقض)
05	ه م ر	(انهمر : ينهمر)

وبعد هذا الترتيب ، سأشرع في دراسة كل فعل من الأفعال السابقة الذكر على حدى ، بدءاً بالدلالة المعجمية ، ثم السياقية وذلك بتحليل شاهد من شواهد المدونة نصل أخيراً إلى أنهم الملامح المتغيرة لذلك الفعل .

1- د ف ع (دفع : يدفع) :

ينتمي هذا الفعل إلى مجموعة أفعال الحركة الانتقالية القوية ، وتدور دلالاته حول معنى : " إزالته بالقوة " ، ومن المعجمات التي حددت دلالاته معجم لسان العرب حيث جاء فيه : " الدَّفْع : الإزالة بالقوة دَفَعَهُ يَدْفَعُهُ دَفْعًا وَ دِفَاعًا " (1) .

ويتنوع استعمال الفعل " دفع " بين الجانب الحسي و الجانب المعنوي ، وعندما يستعمل استعمالا حسيا كفعل مادي حركي ، فهو بالضرورة ، يحتاج لبيئة أو بالأحرى لفضاء حركي مناسب ، وتأخذ الحركة بعد ذلك أبعادا معينة : كالاتجاه إلى الأمام ، ونوع السرعة ، والجسم المتحرك، والفاعل الحركي ، فكل هاته هي سمات دلالية تختلف باختلاف السياق المصاحب للفعل .

و بالعودة للمدونة ، نستنتج إن الفعل " دفع " قد ورد بالدلالة المجازية كما سيظهر في الشاهد الآتي قول الشاعر :

وَادْفَعْ بِنَا لِّلْمَنَايَا ، فَهِيَ تَعْرِفُنَا
وَ يَغْرِفُ النَّصْرُ فِيهَا الرُّوحَ وَ الْبَدْنَ (2)

إن الملفت للنظر في هذا البيت هي تلك المعشوقة المفداة ، التي تسقط عند قدميها القرابين وهي تلك الصورة الغائبة في البيت ، الحاضرة في وجدان الشاعر .

فيهز المتلقي بصرخة أمره بقوله : " ادفع " يدفع من ؟ الذات الشاعرة والشعب الثائر، وهذا ما توحى به " نحن " ضمير الجمع في " بنا ، تعرفنا " من التحام الشعب بعضه البعض .

و قد جاء الفعل " دفع " بصيغة الأمر " ادفع " " افعل " الدالة على : الحث والدفع القوي نحو الأمام فالحركة متجهة إلى الأمام إلى النصر الذي لا يتأتى إلا بالجهاد.

(1) لسان العرب ، 87/08 ، مادة (د ف ع) .

(2) الديوان ، ص134 .

و فعل الأمر : " ادفع " يدل على طلب حدث في المستقبل .(3)
أما الفعلان " تعرفنا ، يعرف " فقد وردا بصيغة المضارع ، إلا أن دلالة " يعرفنا " ماض كما يبدو من السياق أي هي عرفتنا في الماضي، واستخدم المضارع هنا بدل الماضي ليجعل الحدث وكأنه يحدث في الحاضر قصد تمثله أمام الناظر، وهذا ما يوحي بالماضي الزاخر بالبطولات والأمجاد ، وهذا الماضي لا يزال حاضرا ، والأبطال لا زالوا أسودا ضارية تتعطش للنيل من فريستها .
لذا جاء الفعل " يعرف " بصيغة الحاضر الدالة على الاستمرارية.

وإذا تأملنا المركب التالي : " الروح و البدن " وجدنا الشاعر قد فصل الروح عن البدن وهذا إن دل على شيء إنما يدل على إدراك الشاعر قوة إيمانه القوي بالتضحية و الاستشهاد في سبيل الله لتحرير أرضه المغتصبة .
فالموت فصل بين الروح والبدن ، لتصعد الروح إلى بارئها ، و يبقى الجسد جثة هامدة توارى التراب .

كثيرا ما يعود مفدي لقاموسه الديني ، لينتقي منه ما يلائم موضوعه فقد اختار منه، الدوال الآتية : " النصر " ، " الروح " ، " المنايا " ، وهي تنبئ عن موسوعته الدينية الغزيرة .

والدال " المنايا " جمع منية ، قد ورد بصيغة الجمع دلالة على الكثرة ، فالشاعر و قومه يرتادون المنايا ، و لهم في غمارها مآثر و مفاخر .
والقارئ لهذا البيت يجده يتناص مع مقاطع تتبعث من الذاكرة الأدبية ، و يفوح شذاها من العصر الجاهلي ، من روائع طرفة بن العبد، وذلك عندما قال :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْطِيعِ دِفَاعَ مَنِيَّتِي فِدَعْنِي أَبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي (1)

و نخلص إلى أهم الملامح الدلالية المميزة للفعل " دفع " :

(3) شوقي ضيف ، تجديد النحو ، دار المعارف ، 1982 ، ص 59 .

(1) نقلا عن : عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني ، تج: محمد عبد القادر الفاضلي ، شرح المعلمات السبع ، المكتبة العصرية ، بيروت . 86 ، 2001 .

- الحركة.
- الانتقال .
- القوة
- السرعة .
- الاتجاه إلى الأمام .

2- رمى (رمى : يرمى):

سجلت المعجمات في القديم دلالة الفعل "رمى" ، و الذي ورد بمعنى الإلقاء حيث جاء في لسان العرب : "رَمَى يَرْمِي رَمًا فهو رَامٍ ... رَمَيْتُ الحجر من يدي أي : أَلْقَيْتُ " (1).

و قد ورد في التنزيل العزيز بالدلالة نفسها في قوله تعالى : " تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ " (2).

وعموما قد حافظ الفعل "رمى" على دلالاته القديمة ، التي ورد بها في المعجمات ، كحركة حسية مادية تعني: فعل الإلقاء .

كما نجد لهذا الفعل دلالات مجازية كثيرة ، تنتوع بتنوع السياقات التي يرد فيها ، حيث يسند فعل الرمي إلى ما لا يتأتى منه فعل الرمي ، مثلا كقولنا في الجملة الآتية : " أنتدرك ما يرمى إليه هذا الشاعر ؟ " . فالشاعر لا يقوم بفعل حركي مادي و هو الرمي. والمعنى المجازي هنا هو : القصد أو الهدف منه . و يتضح المعنى الدلالي أكثر بالعودة للمدونة في البيت الآتي :

أَنَا فِي الْمَغْرِبِ الْكَبِيرِ نَشِيدُ يَتْرَامِي صَدَاهُ لِأَحْقَابِ (3)

يتصدر الأنا هذا البيت فارضا سلطته لا في البيت فحسب ، بل في فضاء أوسع في "المغرب الكبير" كدالة مكانية ، وفي النشيد الذي يتعالى صداه مقتحما عوالم تمتد عبر أحقاب زمنية لا محدودة وتخترق التاريخ .

(1) ينظر: لسان العرب، 335/14 ، مادة (رم ي) .

(2) سورة الفيل الآية 04 .

(3) الديوان ،ص 91 .

وقد ورد الفعل " يترمى " بصيغة المضارع الدالة على الحال المستمرة وتحقيق مبتغى الذات الشاعرة في وصول صوتها وذبوعه .

فالذات الشاعرة تنعت شخصها بالفاعلية والحركية ، فالنشيد قوة فاعلة محرّكة تستنهض الهمم وتبعث الوعي في الأمم. وتشتع في هذا البيت نرجسية تذكرنا بالمتنبي :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ (4)

ويظهر المد في "صداه" والذي يوحي بمدى انتشار وذبوع صوته ، وهنا قمة التواشج بين الجانب الصوتي والجانب الدلالي، وكذا في الفعل "يترمى" ، "يتفاعل".

و نخلص إلى أهم الملامح المميزة للفعل "رمى" هي :

- السرعة .
- الحركة .
- القوة .
- الانتقال .

3- ق ذ ف (قذف : يقذف) :

يقع الفعل " قذف " في مجال الحركات الانتقالية القوية ، و تدور دلالاته حول معنى : الإلقاء بقوة حيث جاء في لسان العرب : " قَذَفَ بِالشَّيْءِ يَقْذِفُهُ قَذْفًا فَأَنْقَذَفَ : رَمَى وَ النَّقَّاذِفُ : التَّرَامِي ، ... الْقَذْفُ الرَّمِيُّ بِقُوَّةٍ ِ " (1).

ومما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : " لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يُقَذِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ِ " (2).

وقد تنوعت دلالة الفعل " قذف " ، و منها الدلالة الحسية المادية ، و منها الدلالة المجازية و في كلتا الداليتين يشيع ملمح القوة و السرعة .

و فيما يأتي سنعرض بالدراسة لشاهد من شواهد المدونة :

نَبَذْتُ تَعَالِيمَ الْكِتَابِ وَ لَمْ تَزَلْ تُقَادِفُنِي يُمْنَى وَ يُسْرَى شِعَارَاتِي (3)

(4) ديوان المتنبي العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، شرح و تح : ناصيف اليازجي ،دار الجيل، بيروت، ط1، 1996، 640/02 .

(1) ينظر: لسان العرب، 276/09 ، مادة (ق ذ ف) .

(2) سورة الصافات ، الآية 08 .

(3) الديوان ، ص236 .

تطالعنا الذات الشاعرة بنفس حزينه ، متحسرة على حالها ، تبوح لنا بما جنت و
اقترفت حين حادت عن تعاليم الشريعة ، وتلاعبت بها الشعارات الزائفة ، وأمست
كالريشة في مهب الريح .

والمحرك الرئيس للأحداث هو تلك الذات الشاعرة ، والتي تتجلى في الدوال
الآتية : " نبذت تقاذفني ، شعاراتي " في ياء المتكلم ذات الحضور البارز .
وهذه الذات الشاعرة واعية بسلبيتها، و لكنها عاجزة عن الحركة ، عن رد الفعل
والمقاومة : " لم تنزل تقاذفني " ، فهي واقعة تحت تأثير الشعارات ولم تتغلب عليها بعد

وقد ورد الفعل " تقاذفني " بصيغة الحاضر، فالشاعر يصف حاله الذي لن
يتغير إلا بمبادرة منه .

ويوحي الدال " نبذت " بالبعد والانفصال، مما خلق هوة بينه وبين عقيدته .
والدال " شعاراتي " قد ورد بصيغة الجمع الدالة على الكثرة .
ويشكل الدالين : " يمني و يسرى " تضادا مما يضيف على المعنى قوة
و إحياء .

ونخلص إلى أهم الملامح المميزة للفعل " قذف " :
- السرعة . - الحركة .
- القوة . - الانتقال .

4- ق ض ض (انقض : ينقض) :

ينتمي هذا الفعل إلى مجال الحركات الانتقالية القوية ، وتدور دلالاته حول معنى
الإرسال والانتشار بقوة و بسرعة ، ومن المعجمات التي حددت معنى مادة هذا الفعل
معجم لسان العرب حيث جاء فيه : " قَضَّ عَلَيْهِمُ الْخَيْلَ يَقْضُهَا قَضًا : أَرْسَلَهَا ،
وَأَنْقَضَتْ عَلَيْهِمُ الْخَيْلُ : انْتَشَرَتْ وَأَنْقَضَ الطَّائِرُ : ... هَوَى فِي طَيْرَانِهِ " (1) ومما

(1) لسان العرب ، 220/07 ، مادة (ق ض ض) .

ورد في التنزيل العزيز من مادة الفعل قوله تعالى : " فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ
يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ " (2).

وتتنوع دلالة الفعل " انقض " بتنوع السياقات التي يرد فيها ، فيستعمل في
مواضع بالدلالة الحسية ، وهي في الغالب الأعم حركة عنيفة. تمهد لحركة أخرى نحو
: " انقض عليه و أخذ يضربه " .

و يستعمل في مواضع أخرى استعمالا مجازيا ، تظهر فيه عموما بعض الملامح
كالسرعة والقوة ، وستتضح مادة الفعل أكثر بالعودة لأبيات المدونة :

صَرَخَ الضَّمِيرُ ، وَ رَجَتِ الْأَقْدَارُ وَأَنْقَضَ مِنْ عَلَى السَّمَاءِ قَرَارُ (3)

يموج هذا البيت بدلالات الحركية والفاعلية ويبدأ بصرخة تجتاح غمار الواقع
و تتجاوز حدوده و تكسر أطره المذهبية .

و تتوالى وتتابع الأفعال الماضية الآتية : " صرخ ، رجت ، انقض ، انقض " في
ترتيب متسلسل يفضي بعضه لبعض ويتدرج قوة وعنفا بدءا " بصحوة الضمير، ثم
تحرك القدر انقض القرار " .

وقد وردت الأفعال " صرخ ، رجت ، انقض " بصيغة " فعل " الدالة على
الماضي المنقطع . فالشاعر يعلن عن وقع الحدث.

والفعل " انقض " يوحي بالدلالة المجازية ، في جملة " انقض القرار " ولأهمية
القرار ومدى فاعليته في تحديد المصير ، قد انتقاه الشاعر لما يحمله من سمات مميزة
كالسرعة والقوة والإرسال و الانتشار.

وتتزاحم الجمل الفعلية القصيرة المثبتة في البيت : " صرخ الضمير ، رجت
الأقذار انقض القرار " وتتربط فيما بينها بأداة النسق الواو ، والتي توحي بتربط
واتساق القوى الفاعلة والمحركة . وقد أضفت تلك الجمل الفعلية حركية، ودينامية
عكس الجمل الاسمية التي توحي بالثبوت والسكون.

(2) سورة الكهف ، الآية 77 .

(3) الديوان ، ص 43 .

وهذا البيت الشعري ينضح بالصور المجازية : " صرخ الضمير " ، " رجت الأقدار " " انقض القرار " وقد خلع الشاعر الحياة ونبضها على المجردات " الضمير ، الأقدار ، القرار " .

وهذه الصورة المجازية بدورها جعلت المشهد طافحا بالحيوية ، والحركة القوية والإيجابية فتحركت تلك القوى الخفية " الضمير ، الأقدار " لتضع القرار وتزيح الظلم والاستعمار .

وقد أحدث صوت الرء المجهور الشديد جرسا موسيقيا ، يتناغم مع الجانب الدلالي ويزيده قوة وشدة بتكراره في عدة مقاطع : " صرخ ، الضير ، الأقدار رجت ، القرار " .

ونخلص إلى أهم الملامح المميزة للفعل " انقض " :

- الحركة .
- الانتقال .
- الإرسال و الانتشار .
- السرعة و القوة .

5- هم ر (انهمر : ينهمر) :

يصنف هذا الفعل ضمن الأفعال الانتقالية القوية ، و تدور دلالاته في المعجمات القديمة حول معنى: الصب ، فهذه الحركة مرتبطة بالسوائل غالبا ، ومن المعجمات التي حددت دلالة الفعل " همر " معجم لسان العرب حيث جاء فيه: " الهمْرُ: الصَّبُّ " (1) و مما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : " فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ " (2) .

و يلحظ على دلالة الفعل " همر " ، أنها تنوعت حسب السياقات ، فمنها الدلالة الحسية الحركية و المرتبطة بالسوائل كالماء ، و المطر ، و الدمع خاصة ، أما الدلالة المجازية فتختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه. و هذا ما سنراه بالعودة للمدونة :

وَ لَسْتُ أَدْرِي ... وَ دُنْيَا الدَّرْسِ تَجْمَعُنَا وَفَيْضُ عِلْمِكَ فِي الْآفَاقِ يَنْهَمِرُ (3)

(1) لسان العرب ، 220/05 ، مادة (هم ر) .

(2) سورة القمر ، الآية 11 .

(3) الديوان ، ص 74 .

وفي هذا البيت صورة مجازية تتمثل في : " فيض علمك في الآفاق ينهمر " فقد وصف الشاعر العلم بالفيض ، و أضاف له الدال " ينهمر " ، فكان علما غزيرا كالسيل المندفع ، و هذا إن دل على شيء إنما يدل على شخصية " العلامة البحر " فعلمه موسوعي ، و روحه كريمة .

والمتأمل للمركب " لست أدري " يجده يحمل دلالات الاستفهام ، والبحث المستمر عن الحقيقة في أجواء تحيط بالذات الشاعرة . وتموج الدلالات الآتية : " دنيا الدرس ، فيض علمك ، الآفاق " بدلالات العلم والمعرفة ، وتضفي هالة من القداسة في رحاب دنيا العلم .

و يتوجه الشاعر بالخطاب في : "علمك " لعلامة تظهر ملامح شخصيته من خلال دوال البيت فهو رجل علم تجمع به بطلابه حلقات علمية ، وعلمه مستفيض يفتح آفاقا ، وسبلا أمام الدارسين هكذا وصفه الشاعر في بيته هذا . وخاصة فكره الموسوعي الغزير ، فكل تلك الدوال توحى بالمكانة العلمية المرموقة للعلامة.

وقد ورد الفعل " همر " بصيغة الحاضر : " ينهمر " . الشاعر يصف و يثني على ممدوحه ، لذا لجأ إلى الحاضر . وتتكاثر الضمائر وتتنوع من ضمير المتكلم في : " لست أدري " إلى ضمير الجمع في : " تجمعنا " إلى ضمير المخاطب في : " فيض علمك " مكونة خطابا ينتقل من المرسل إلى المتلقي .

و نخلص إلى أهم الملامح الدلالية للفعل " همر " و هي :

- الارتباط بالسوائل

- الكثرة

- الحركة

- الانتقال

- السرعة

و سأبين في الجدول الآتي الملامح الدلالية لأفعال المجموعة :

جدول التحليل التكويني لأفعال الحركة الانتقالية القوية:

أنهمر	أنقض	أنقف	أنمي	أنفع	الفعل الملامح الدلالية
+	+	+	+	+	الحركة
+	+	+	+	+	الانتقال

+	+	+	+	+	القوة
+	+	+	±	+	السرعة
+	-	±	±	-	الاتجاه إلى أسفل
-	-	-	±	+	الاتجاه إلى الأمام
+	-	-	-	-	الارتباط بالسوائل

ثانيا: أفعال الحركة الانتقالية المنحنية :

تتألف هذه المجموعة من ستة أفعال ، مرتبة ترتيبا هجائيا ، و يلحظ أن القاسم المشترك لأفعالها ، يتمثل في بعض الملامح نحو : " الحركة ، الانتقال الاستدارة " ، ثم ينفرد كل فعل بملامح مميزة خاصة به .

المادة	الفعل	
01	ح ل ق	(حلق : يحلق)
02	ح و م	(حام : يحوم)
03	ح ف ف	(حف : يحف)
04	د و ر	(دار : يدور)
05	ط و ف	(طاف : يطوف)
06	م ي ل	(مال : يميل)

وبعد أن رتبنا الأفعال في الجدول ، سأقوم بدراسة كل فعل من تلك الأفعال دراسة دلالية بدءاً بدلالاته المعجمية ثم ، موقعه من المدونة ، من خلال شاهد ، أقوم بتحليله لأصل إلى أهم الملامح الدلالية للفعل .

1- ح ل ق (حلق : يحلق) :

حددت المعجمات في القديم دلالة الفعل "حلق" ، والذي ورد بمعنى الارتفاع و الاستدارة حيث جاء في لسان العرب : " حَلَّقَ الطَّائِرُ إِذَا ارْتَفَعَ فِي الْهَوَاءِ وَ اسْتَدَارَ ... وَ حَلَّقَ النَّجْمُ : إِذَا ارْتَفَعَ وَ تَحَلَّقَ الطَّائِرُ : ارْتِفَاعِهِ فِي طَيْرَانِهِ " (1).

(1) ينظر: لسان العرب ، 63/10 ، 64 ، مادة (ح ل ق) .

وينتمي الفعل "حلق" إلى مجال الحركات المنحنية ، و يحمل في مادته دلالة الحركة المستديرة

ويسند فعل التحليق غالبا للطيور، أو للأجسام التي ترتفع في الهواء " كالطائرة مثلا " .

و يرد الفعل حلق في المدونة ، بدلالاته المجازية ، كما سيظهر في الشاهد الآتي :

حَلَقْتَ كَالنَّسْرِ ، فِي آفَاقِ حَاضِرِنَا وَعُصْتَ كَالسَّحْرِ فِي أَعْمَاقِ مَاضِينَا (2)

يتشكل هذا البيت الذي بين أيدينا من ثنائيات ضدية تتنوع بين أفعال وأسماء وضمائر وتتقابل فيما بينها مما يضيف وقعا جماليا خاصا على البيت وتتقابل كالاتي :

- حلقت / غصت " فعل / فعل "

- آفاق / أعماق " اسم / اسم "

- حاضر / ماضي " اسم / اسم "

- " حلقت ، غصت / حاضرننا، ماضيينا " ضمير / ضمير "

وبهذا التقابل بين الثنائيات يزداد المعنى قوة و إichاءا.

وينضوي البيت على صورتين مجازيتين هما " كالنسر ، وكالسحر" ، فقد شبه الشاعر الممدوح بالنسر: " في قوته وتعالیه وشموخه " وشبهه بالسحر: " التعمق في الأشياء ، التأمل الحكمة " في الماضي . فقد جمع الممدوح بين الحاضر والماضي فغاص في الماضي ليكشف عمقه وحلق حول الحاضر " الواقع " ليرى ما يجري فيه .

وقد ورد الفعلان " حلق " ، " غاص " بصيغة " فعل " الدالة على الماضي فالشاعر يخاطب الممدوح يثني عليه وعلى سيرته.

وقد تكرر الحرف " في " مرتين في البيت دلالة على الاحتواء .

وفي البيت دالتين للزمن هما على التوالي: الحاضر - الماضي ، ودالتين للمكان هما : الآفاق الأعماق.

(2) الديوان ، ص 23 .

ويلقي القارئ للبيت تضادا في اتجاه الحركتين : "حلق ، غاص" ، فالفعل الأول رأسي يتجه إلى الأعلى ، والثاني رأسي يتجه إلى الأسفل . ونخلص إلى أهم الملامح الدلالية للفعل " حلق " :

- الحركة
- الانتقال

2- ح و م (حام : يحوم):

يصنف هذا الفعل ضمن مجموعة الأفعال الحركية الانتقالية المنحنية ، ومن المعجمات التي حددت دلالاته ، معجم لسان العرب حيث جاء فيه : " حَامَ الطَّائِرُ عَلَى الشَّيْءِ حَوْمًا و حَوَّمانًا : حَوَّمَ والطَّائِرُ يَحُومُ حَوْلَ المَاءِ و يَلُوبُ إذا كان يَدُورُ حَوْلَهُ مِنَ العَطَشِ الجوهري : حَامَ الطَّائِرُ و غَيْرُهُ حَوْلَ الشَّيْءِ يَحُومُ حَوْمًا و حَوَّمانًا أي : دَارَ " .⁽¹⁾

ويحمل هذا الفعل في مادته دلالة الاقتراب والدنو من الشيء في حركة دائرية و تنتوع هذه الدلالة بين الدلالة الحسية ، و الدلالة المجازية . و سأعرض لأهم الدلالات التي ورد بها الفعل " حام " في المدونة :

وَلَكُمْ حَامَ صَلِيبٌ حَوْلَهُ فَتَهَاوَى تَحْتَ إِشْغَاعِ الهَلَالِ⁽²⁾

ورد الفعل " حام " بدلالاته المجازية ، فحمل معاني الاقتراب و الدنو من الحضارة الإسلامية من خلال : الاستطلاع ، التجسس ، المحاولات لإثارة الفتن . ولكن تلك المحاولات ما تلبث أن تخبو و تنطفئ نارا لتصبح رمادا ، فيصور لنا هذا البيت انكسار الصليب وإخفاقه ، حيث انتهى الصراع بحركة سريعة وخاطفة تمثلت في الدال " تهاوى " أي : سقط بسرعة وتلاشى بعدها .

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، 122/12 ، مادة (ح و م) .

(2) الديوان ، ص 87 .

إن المتأمل لهذا البيت يلفي رموزاً ، تضيء على البيت جمالاً ، وتزيد المعنى قوة وإيحاءاً نحو: " هلال صليب " فهذان الرمزان يمثلان حضارتين متباينتين : الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية بكل ما تحملانه من معالم ، و بالأخص ذلك الصراع الأبدي بين القوتين.

كما تضيف أظرفة الأمكنة فضاء للحركة وهي على التوالي : " حول تحت " . وقد ورد الفعلان " حام ، تهاوى " بصيغة الماضي ، الدالة على حدوث الفعل وانقضائه في زمن ماض .

أما الدال " لكم " فقد أضفى إيحاءاً ، ودلالة للبيت حيث يدل على الكثرة والتكرار، فهو يقر بانتصارات الهلال وانهزامات الصليب المتكررة ، وانطفاء شعلته تحت ضياء ونور الراية الإسلامية .

أما الدال " إشعاع " فيوحي بالنور والضياء ، اللذان يوحيان بالأمل والدفع القوي لبعث الحضارة الإسلامية و النهوض بها.

ونخلص إلى أهم الملامح الدلالية للفعل " حام " و تتمثل في :

– الحركة – الانتقال – الاستدارة

3- ح ف ف (حَفَّ : يحف) :

حددت المعجمات في القديم دلالة الفعل "حَفَّ" بمعنى : الاستدارة بالشيء ، جاء في اللسان : " حَفَّ الْقَوْمُ بِالشِّئِ يءٍ و حَوَالِيهِ ، يَحْفُونَ حَفًّا و حَفُّهُ ... أي : أَطَافُوا بِهِ وَعَكَّفُوا وَاسْتَدَارُوا " .⁽¹⁾

وقد ورد الفعل بالدلالة نفسها في التنزيل العزيز في قوله تعالى : " جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ " .⁽²⁾

ولهذا الفعل دلالات متعددة منها ما هو حسي ، و منها ما هو مجازي وأعرض له بالدراسة في الشاهد الآتي :

(1) ينظر: لسان العرب، 49/09، مادة (ح ف ف) .

(2) سورة الكهف، الآية 32 .

يا مَنْ عَنَائِي الْمَلِيحِ كِ تَحْفُهُ طُولَ الدَّوَامِ (1)

يعود هذا البيت إلى أغراض قديمة قدم القصيدة العربية ، ألا وهو غرض المدح ، حيث خص الشاعر ممدوحه بعدد من السمات التي تمنحه تفردا و تميزا .
وينادي الشاعر ممدوحه بندااء متميز مستعملا " يا " ، ثم يلحقها بالبدال "من عنايات المليك" فالبدال " عنايات " جمع "عناية" دال على الكثرة ، فضلا عن الدال " المليك " وما يحمله من دلالات " التعظيم ، والإجلال " فالشاعر تعهده بعناية خاصة .
وقد ورد الفعل " حف " بصيغة " يفعل " " تحف " ، الدالة على المضارع ، وهذه الصيغة توحى بالاستمرارية ، و يزيدها تأكيدا مجاورتها للدال " طول الدوام " ، الذي يضيف عليها قوة و تأكيدا .

ويحمل الفعل " حف " في ثناياه دلالات الإحاطة و العناية الروحية ، التي تحفظه من أي أذى وتحيطه أسوارا و قلاعا عالية تحميه و تظلمه .
ونخلص إلى أهم الملامح المميزة للفعل " حَفَّ " و تتمثل في :
- الحركة .
- الاستدارة و الإحاطة .
- الانتقال .

4- دور (دار : يدور) :

يصنف الفعل " دار " ضمن أفعال الحركة الانتقالية المنحنية ، ومن المعجمات التي حددت دلالاته ؛ معجم لسان العرب حيث جاء فيه : " دَارَ الشَّيْءُ ، يَدُورُ دَوْرًا وَ دَوْرَانًا ..وَأَسْتَدَارَ يَسْتَدِيرُ بِمَعْنَى : إِذَا طَافَ حَوْلَ الشَّيْءِ ، وَإِذَا عَادَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي ابْتَدَأَ مِنْهُ " . (2)

و قد ورد الفعل " دار " في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : " فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ " . (1)

(1) الديوان ، ص 218 .

(2) ينظر: لسان العرب، 295/04، مادة (دور) .

(1) سورة الأحزاب ، الآية 19 .

ومما يلحظ أن هذا الفعل يدل على الحركة الدائرية ، و يتنوع بتنوع السياقات التي يرد فيها بين الجانب الحسي و الجانب المعنوي المجازي ، فقولنا مثلا " دار في ذهني " فهذه دلالة مجازية ، أما قولنا " درت حول سور البيت " ، فتنغير الدلالة من معنوية إلى حسية ، أفادت وقوع فعل حركي دائري.

ويتميز الفعل " دار " بمدى دلالي واسع وبخاصة المجازي منه نحو: بمعنى التفكير الاضطراب و عدم الاستقرار " دارت الأرض " ، و دلالاته على: الإدارة و التسيير نحو: " يدير شركة " ، و بمعنى الحرب كذلك في " دارت رحى الحرب " و دلالة المضي في " تدور السنين " .
و سيتضح كل ما سبق من خلال الشاهد الآتي:

فَلَكُ يَدُورُ وَلَا تَنَامُ جِرَاحُ وَ سَنَى تَمُورُ، وَلَا يَغُورُ طِمَاحُ (2)

يموج هذا البيت بالحركة ، لشيوع الجمل المثبتة و المنفية في قوله : " فلك يدور ، " سنى تمور " ، " لا تنام جراح " ، " لا يغور طماح " .
وتتوالى الأفعال الحركية المضارعة على النحو الآتي: " يدور ، تنام ، تمور يغور " عدا الفعل " ينام " فهو فعل مضارع لا يدل على حركة بل سكون .
فالشاعر يتأمل هذا الكون ، في حركته وفي سكونه ، لكنه لا يصف لنا إلا ما هو حركي دوران الفلك ، تعاقب الحقب و الأزمنة ، في مقابل هذه الحركة ، تلك الجراح لا تنام ولا تنتسى و تلك الطماح لا تذهب بل هي ثابتة ، وكأن الزمن بحركته لا يأتي على الجراح ولا على الطماح .
وقد ورد الفعل " دار " بمعناه المجازي ، الدال على المضي أي: انتقال الأزمنة وتعاقب الحقب .

ويظهر التضاد بين الجمل المثبتة و الجمل المنفية .
ويتكرر الجناس اللفظي في الدوال الآتية : " جراح ، طماح " ، وفي الأفعال الثلاثة " يدور ، يمور يغور " مما يضيف جرسا موسيقيا على البيت .
وقد اختار الشاعر " الواو " كحرف نسق رابط بين الجمل الأربعة مثنى مثنى .
ونخلص إلى أهم الملامح الدلالية للفعل " دار " :

(2) الديوان ، ص116 .

- الحركة .
- الانتقال .
- كثرة المعاني الدلالية للفعل .
- الاتجاه الدائري للفعل .

5- ط و ف (طاف : يطوف) :

يصنف الفعل " طاف " ضمن مجموعة أفعال الحركة الانتقالية المنحنية، ومن المعجمات التي حددت دلالاته ، معجم لسان العرب حيث جاء فيه : " و طَافَ بِالْقَوْمِ وَعَلَيْهِمْ طَوْفًا وَ طَوْفَانًا وَ مَطَافًا وَ أَطَافَ : اسْتَدَارَ ، وَ جَاءَ مِنْ نَوَاحِيهِ ، وَ أَطَافَ فُلَانٌ بِالْأَمْرِ إِذَا أَحَاطَ بِهِ " (1)

ومنه قوله تعالى : " وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ " (2) .
وبالعودة للمدونة نجده قد اكتسى دلالات مجازية أخرى ، بخلاف دلالاته الحسية الأصلية ، والتي وردت بمعنى : الحركة الدائرية " المشي " حول نقطة معينة .
و سنتضح الدلالة المجازية بتحليل الشاهد الآتي :

وَكَمْ طَافَ الشَّرَاعُ بِهِمْ فَجَحُوا وَكَمْ وَقَفَ الشَّرَاعُ بِهِمْ فَضَلُّوا (3)

والمتمثل لهذا البيت يلقي غيابا ظاهرا ، يتجلى في الضمير " هم " ، و الذي ظهر في صدر البيت وتكرر في عجز البيت مما يؤكد غياب طرف مهم . فما هي تلك الصورة الغائبة ؟ .

وقد استهل الشاعر البيت الذي بين أيدينا ، بالأداة " كم " الدالة على الكثرة .
وكثيرا ما يعود الشاعر للمعجم القرآني ، فينتقي بعض المفردات نحو: " طاف " ، " حجوا " ، " صلوا " وقد شكلت هذه المفردات الدوال الرئيسة للبيت .
وللدلالة على الزمن و تقلباته استعمل " مفدي " الدال : " الشراع " ليجسد به معنى الحياة فهي في قلبها كالشراع الذي توجهه الرياح أنى تشاء .

(1) لسان العرب ، 225/09 ، مادة (ط و ف) .

(2) سورة الطور، الآية 24 .

(3) الديوان ، ص 93 .

أما الأفعال الأربعة الآتية : " طاف ، حجوا ، وقف ، صلوا " فقد وردت متتالية
يفضي بعضها لبعض فالفعل " حجوا " جاء لتداعيات الفعل الأول " طاف " و الفعل
" صلوا " جاء لتداعيات الفعل الثالث " وقف " و كلها جاءت بصيغة الماضي متنوعة
بين المفرد و الجمع .

والمتمامل للدالين " طاف ، حجوا " يلقي تلازما بينهما فالحج يستدعي الطواف
ولا حج دون طواف.

أما الدالان " وقف " ، " صلوا " تربطهما علاقة دلالية ، فالصلاة في أصلها دعاء
يتطلب الخشوع والسكون والطمأنينة ، مما يستدعي: الوقوف و الثبات دون حركة .

- وتظهر المقابلة بين " طاف الشراع " ← حركة .
" وقف الشراع " ← سكون .
ونصل إلى أهم الملامح المميزة للفعل " طاف " و تتمثل في :
- الحركة الدائرية .
 - الانتقال .
 - حركة صادرة عن الإنسان فقط .

6- م ي ل (مال : يميل) :

يقع هذا الفعل في مجال الحركات الانتقالية المنحنية ، و من المعجمات التي
حددت دلالاته معجم لسان العرب حيث جاء فيه : " مَيْلٌ : الْمَيْلُ : الْعُدُولُ إِلَى الشَّيْءِ
، وَ الْإِقْبَالُ عَلَيْهِ ، وَ كَذَلِكَ الْمَيْلَانُ وَ مَالِ الشَّيْءِ يُمِيلُ مَيْلًا ً وَ مَمَالًا ً وَ
تَمْيَالًا ً " .⁽¹⁾

وقد ورد الفعل " مال " في القرآن الكريم بالدلالة نفسها في قوله عز وجل : "
فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ " .⁽²⁾

ويلحظ أن دلالة الفعل "مال " ، تنتوع بتنوع السياقات التي يرد فيها ، من دلالة
حسية نحو : " مالت النخلة " إلى معنوية نحو : " مالت البنت إلى أمها " .

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، 632/11 ، مادة (م ي ل) .
(2) سورة النساء ، الآية 129 .

ويتضح هذا أكثر بالعودة لأبيات المدونة :

صَهَرَ الحُبُّ فِي جَوَانِبِكَ قَلْبًا حَيْثُمَا مَالَتْ المَحَاسِنُ مَا لَا (1)

يموج هذا البيت بدلالات تعزف على أوتار القلوب ، و تشع على الجو رومانسية ، فهي توحى بعواطف متأججة تتجلى في الدوال : " صهر الحب ، مالت المحاسن " . فالشاعر يخاطب العاشق : " جوانبك " حيث تظهر " كاف الخطاب " ذلك العاشق الذي ظل قلبه طافحا بالمشاعر و العواطف .

وقد أضفت الدوال: " صهر الحب ، جوانبك ، قلبا ، مالت ، المحاسن ، مالا " رؤى خاصة لذلك العاشق فقلبه قد ذاب ولعا ، وأصابته سهام الحب شغاف قلبه " صهر الحب " ، فأينما وجد ضالته رسم دريه .

وقد ورد الفعل " مالت " بصيغة الماضي ، فللشاعر حنين لزمن الصبا و الصبابة ، و ما أنسب صيغة الماضي لتذكر أيام سالفة العهد .
وقد لجأ الشاعر للفعل " مال " و للصور المجازية نحو : " صهر الحب " لما يحمله فعل الذويان من دلالات العشق و الصبابة ، والفعل " مال " قد ورد بدلالته المجازية ، بمعنى : الميل والإعجاب بشخص ومن المشتقات : " مالت ، مالا " .

ومن أهم الملامح الدلالية للفعل " مال " أذكر :

- الحركة
- الانتقال
- الاتجاه الدائري

(1) الديوان ، ص 72 .

سأوضح في الجدول الآتي الملامح الدلالية المميزة لأفعال المجموعة :

جدول التحليل التكويني لمجموعة أفعال الحركة الانتقالية المنحنية :

الفاعل	محل	ظرف	دار	ف	ل	و
الحركة	+	+	+	+	+	+
الانتقال	+	+	+	+	+	+
الارتفاع	-	-	-	-	-	+
الاستدارة	+	+	+	+	+	+
الإحاطة	-	-	+	+	±	±
الحركة صادرة عن الإنسان فقط	-	+	-	-	-	-

أهم العلاقات الدلالية بين أفعال المجموعة تتمثل في :

- علاقة الترادف في : " حلق ، حام " .

ثالثا : أفعال الحركة الانتقالية السريعة :

تتألف هذه المجموعة من ثلاثة أفعال ، مرتبة ترتيبا هجائيا ، والملاحظ أن القاسم المشترك لأفعالها في بعض الملامح الدلالية نحو : " الحركة ، الانتقال السرعة " ، ثم ينفرد كل فعل بلامح تميزه عن غيره من أفعال هذه الفئة .

الفعل	المادة	
(خطف : يخطف)	خ ط ف	01
(طار : يطير)	ط ي ر	02
(أفلت : يفلت)	ف ل ت	03

سأعرض بالدراسة لكل فعل من تلك الأفعال بدءاً بدلالاته المعجمية ، ثم أحلّل شاهد من شواهد المدونة ، لأتعرّف على أهم الدلالات التي يتمتّع بها الفعل المدروس لأصل إلى ملامحه الدلالية المميزة له عن باقي أفعال المجموعة .

1- خ ط ف : (خطف : يخطف) :

يصنّف هذا الفعل ضمن أفعال الحركة الانتقالية السريعة ، ومن المعجمات التي حدّدت معنى الفعل : " خطف " ، معجم لسان العرب حيث جاء فيه : " الخَطْفُ : الاستِلابُ ، وَ قِيلَ : الخَطْفُ الأَخْذُ فِي سُرْعَةٍ وَاسْتِلابُ ، خَطَفَهُ يَخْطِفُهُ خَطْفًا " .⁽¹⁾ ومنه قوله تعالى : " يَكَادُ البَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ " .⁽²⁾

وتدور دلالة الفعل " خطف " حول معنى : الأخذ بسرعة ، هذا في المعجمات القديمة ، و قد حافظت مادة الفعل على الدلالة نفسها في عصرنا ، وسيوضح ذلك في الشاهد الآتي :

أَيُّ صَقْرٍ خَطْفُوهُ مِنْ دَارِنَا أَيُّ نَسْرِ ٍ قَتَصُوهُ مِنْ حِمَانَا ؟⁽³⁾

ينتمي الدالان : " صقر ، نسر " إلى فئة الطيور الكاسرة ، فالكاسر يحلق عالياً في الأفق باسطة جناحيه ، وينقض على فريسته بقوة ما إن يلمحها ، ويتم ذلك في سرعة فائقة. وهذه أبرز صفات الكواسر، والتي استعارها الشاعر لممدوحه .

(1) ابن منظور، لسان العرب ، 75/09 ، مادة (خ ط ف) .

(2) سورة البقرة ، الآية 20 .

(3) الديوان ، ص 169 .

فيتعجب الشاعر من الغياب المفاجئ لهذا الصقر أو النسر ، مستعملا أداة الاستفهام " أي " والمشوية بالتعجب ، والتي توحى بحيرة الذات واستغرابها من هذا الحدث المفاجئ .

وقد ورد الفعل " خطف " بصيغة فعل ، وكذا الفعل " قنص " ، والفعالان مسندان إلى ضمير الغائب في " خطفوه ، قنصوه " . ويحضر ضمير النحن في الدالين : " دارنا ، حمانا " ، مما يشكل تضادا بين ضمير " النحن " وضمير " هم " أي بين : ضمير الحضور و ضمير الغياب .

والفعل " خطف " فعل يتسم بالسرعة ، والمفاجأة والقوة في أخذ الشيء فيظهر التماثل الدلالي بين " الصقر ، النسر والممدوح " على النحو الآتي :

" الصقر ، النسر " : " التحليق عاليا ، القوة ، السرعة " .

" الممدوح " : " علو المنزلة والشأن ، الإقدام ، القوة والشجاعة " .
و نخلص إلى أهم الملامح المميزة للفعل " خطف " و تتمثل في :
- ملمح السرعة - ملمح القوة و المفاجأة .

2- ط ي ر (طار : يطير) :

سجلت المعجمات الدلالة الحركية للفعل " طار " بمعنى : حركة ذي الجناح في الهواء ؛ جاء في لسان العرب : " طَيْرَ : الطَّيْرَانُ : حَرَكَةُ ذِي الْجَنَاحِ فِي الْهَوَاءِ بِجَنَاحِهِ ، طَارَ الطَّائِرُ يَطِيرُ طَيْرًا وَ طَيْرَانًا " (1).

ومنه قوله تعالى : " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّتَالُكُمْ " (2).

ويسند هذا الفعل في الغالب الأعم للأجسام المتحركة في الهواء ، كما يسند لغيرها من الأشياء المعنوية ، مما يضيف على الفعل دلالة مجازية ، بخلاف دلالاته الحركية التي ورد بها في المعجمات . وفيما يلي عرض لبعض الشواهد من المدونة :

طَارَتْ بِمُهَجَّتِهِ الذَّكْرَى فَطَارَ بِهَا يُسَابِقُ الرِّيحَ يَحْدُوهُ سُلَيْمَانُ (3)

(1) لسان العرب ، 508/04 ، مادة (ط ي ر) .

(2) سورة الأنعام ، الآية 38 .

(3) الديوان ، ص 81 .

تتوالى الأفعال الحركية في هذا البيت ، بدءا بالفعل الرئيس " طار " ، وهو المحرك لبقية الأفعال " طارت ، طار ، يسابق ، يحدوه " .

والملاحظ على تلك الأفعال أنها تكافأت من حيث زمن الفعل ، ففي صدر البيت ، بني الفعلان " طارت ، طار " على صيغة الماضي ، وفي المقابل بالنسبة لعجز البيت : قد ورد الفعلان " يقابل و يحدوه " بصيغة " يفعل " الدالة على المضارع .

ويمثل الفعل " طار " حركة معنوية توحى بعودة الشاعر بذاكرته إلى أيام شبابه ، وفي عجز البيت ، وظف الشاعر مرجعية دينية ، تتمثل في : قصة سيدنا سليمان عليه السلام ، وفي قوله تعالى : " فسخرنا له الريح تجري بأمره " . (4) فكانت الريح تسير طوعا لإمرة سيدنا سليمان . (5)

وفي البيت صورة بيانية في الشطر الثاني: " يسابق الريح " حيث استعار الشاعر صفة التسابق والركض للريح ، وشخصها في صورة إنسان يسابق آخر فكانت خصمه ومنافسه .

وتهيمن ضمائر الغياب على البيت في الدوال الآتية: " بمهجته، بها، يحدوه " وتحيل هذه الضمائر إلى غياب الطرف الفاعل .
ومن أهم الملامح الدلالية للفعل " طار " :

- ملمح البيئة خاصة " بيئة الهواء "
- ملمح الخفة في الحركة
- ملمح السرعة

3- ف ل ت (أفلت : يفلت) :

ينتمي هذا الفعل إلى مجال الحركات الانتقالية السريعة ، وقد حددت المعجمات دلالاته بمعنى التخلص من الشيء فجأة ، حيث ورد في لسان العرب : " فَلَتَ : أَفَلْتَنِي الشَّيْءُ ، وَتَفَلَّتَ مِنِّي وَأَنْفَلَتَ وَأَفَلَّتَ فُلَانٌ فُلَانًا : حَلَّصَهُ ، ... وَ الْإِفْلَاتُ وَ الْإِنْفَلَاتُ : التَّخْلُصُ مِنَ الشَّيْءِ فَجَاءً " . (1)

(4) سورة ص، الآية 36 .
(5) ينظر : إسماعيل بن كثير ، قصص الأنبياء ، مكتبة الشركة الجزائرية ، 1981 ، ص 511 .
(1) ينظر : ابن منظور، لسان العرب ، 66/02 ، مادة (ف ل ت) .

والملاحظ على الفعل " فلت " ، أنه ورد في صيغته الأصلية بمعنى: التخلص من الشيء فجأة أي : الانتقال من وضع مقيد إلى وضع منطلق بسرعة وخفة ، ومنه فمن الملامح المميزة للفعل هما سمتا الانطلاق و السرعة .
وللفعل دلالات حسية وأخرى مجازية ، فهذا الانفصال أو الإفلات قد يكون معنوي . وسيتضح كل ذلك بالعودة إلى المدونة :

وَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَعْرَاكَ ... فَأَنْفَلْتَّ لِلْقُدْسِ رُوحَكَ ، لَمْ تَحْفَلْ بِدَاعِينَا (2)

يطالعنا هذا البيت بأسلوب النداء، فالشاعر يناجي ممدوحه الغائب عنه الحاضر في مخيلته و يتساءل عن سبب رحيله ؟ باستعمال أداة الاستفهام : " من " .
وتتشابك الضمائر بعضها ببعض " المفرد و الجمع " في: " أعراك ، روحك " والجمع في " داعينا " .
وقد ورد الفعل " انفلت " بصيغة " انفعل " الدالة على المطاوعة .(3) ، فهناك مؤثر دعا الغائب فاستجاب له.
وتوالت الأفعال و تتابعت في ترتيب يفضي بعضه لبعض : " أعراك ، انفلت تحفل " وجاءت بصيغة الماضي ، الدالة على حدوث الفعل في زمن ماض .
ومن الدوال المكانية ، دالة القدس ، والتي تحمل اسم تلك المدينة المغتصبة المقدسة وكان اتجاه الحركة نحو : الدالة المكانية في " للقدس " . فهذه الأخيرة تمثل فضاءا للحركة .

- و نخلص إلى أهم الملامح الدلالية المميزة للفعل " انفلت " و تتمثل في :
- الحركة
 - السرعة " الجري ، القفز "
 - الانتقال من وضع التقييد إلى الانطلاق
 - ذاتية الحركة أو عدمها

(2) الديوان ، ص 21 .
(3) أبو أوس إبراهيم الشمسان ، الفعل في القرآن الكريم تعديته و لزومه ، ص 726 ، و ذكر في الكتاب ، سيبويه ، ج 76/4 .
و الزمخشري ، المفصل في العربية ، دار الجيل ، بيروت ، ص 271 ، و المبرد ، المقتضب ، 75/01 .

سأبين في الجدول الآتي الملامح الدلالية لأفعال المجموعة :

جدول التحليل التكويني لأفعال الحركة الانتقالية السريعة

أفعلت	طار	خطف	الأفعال
			الملاح الدلالية
+	+	+	الحركة
+	+	+	الانتقالية
+	+	+	السرعة
-	-	+	القوة
-	+	-	ملمح البيئة
+	+	+	الخفة
+	±	-	الانتقال من التقييد إلى الانطلاق

رابعاً : أفعال الحركة الانتقالية المرتبطة بوسط سائل " الماء " :

تتألف هذه المجموعة من ثلاثة أفعال ، مرتبة ترتيباً هجائياً ، و يلحظ أن القاسم المشترك لأفعالها يتمثل في الملامح الدلالية الآتية: " الحركة ، الانتقال الارتباط بوسط سائل " الماء " ، ثم ينفرد كل فعل بلامح مميزة خاصة به .

وفي الجدول الآتي نرتب الأفعال التي سنتعرض لها بالدراسة :

المادة	الفعل	
01	س ب ح	(سبج : يسبح)
02	س ي ل	(سال : يسيل)
03	م و ج	(تموج : يتموج)

ثم أتناول بدراسة كل فعل دراسة دلالية ، انطلاقاً من دلالاته المعجمية ، ثم أتعرض للدلالة السياقية من خلال شاهد من شواهد المدونة ، لأصل إلى أهم ملامحه الدلالية .

1- س ب ح (سبج : يسبح) :

حددت المعجمات في القديم الدلالة الحركية للفعل " سبج " : والتي تدور حول معنى : العوم جاء في لسان العرب : " سَبَّحَ : السَّبْحُ وَ السَّبَّاحَةُ : العَوْمُ " . (1)
وبالدلالة نفسها ورد هذا الفعل في القرآن الكريم في قوله تعالى : " كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونُ " . (2)

وينتمي الفعل " سبج " إلى مجال الحركة الانتقالية المرتبطة بوسط سائل، كما يتميز هذا الفعل بمدى دلالي واسع ، فتنوع دلالاته بذلك من سياق لآخر . فإذا قلنا النجوم تسبح في الفلك سبحا إذا جرت في دورانها ، وسبحت في الأرض : إذا تباعدت فيها ، وسبح في الكلام إذا أكثر فيه . (3)
وقد يدل الفعل " سبج " على المعارضة و مخالفة الرأي نحو : " سبج ضد التيار " .

ونخلص مما سبق ذكره إلى المدى الدلالي الواسع ، الذي يميز الفعل " سبج " عن غيره من أفعال المجموعة . و هذا ما سيتضح بتحليل الشاهد الآتي :

وَ قَالَ : وَ قَالَتْ لَنَا الْكَائِنَا تْ اسْبَحُوا فَوْقَ نَهْرِ الدِّمَا فَسَبَّحْنَا (4)

(1) لسان العرب ، 470/02 ، مادة (س ب ح) .

(2) سورة الأنبياء ، الآية 87 .

(3) ينظر : لسان العرب ، 470/02 .

(4) الديوان ، ص 200 .

إن الملفت للانتباه في هذا البيت هو الأسلوب الحوارى في " قال : قالت " و الذي جرى بين الذات الشاعرة و الكائنات . ومن خلال الحوار ، نلمح ظاهرة السنة الكائنات ، والتي خلع عليها الشاعر صفة المحاورة و جعلها طرفا في الحوار . وقد تنوعت الضمائر بين الحضور و الغياب ، والمفرد والجمع على النحو الآتى : " هو ، هي نحن ، أنتم ، نحن " . فهي العصب الشعري المكون للنص . ويلحظ أن الزمن الماضي هو المهيمن في البيت ، فقد ظهر عن طريق فعل القول : " قال " " قالت " ، و كذا الفعل " سبحنا " ما عدا الفعل " اسبحوا " فقد ورد بصيغة " افعل " الدالة على الأمر . وقد تضافرت الأفعال الأربعة ، وأضفت حركية و دينامية على البيت ، بتنوع صيغ الأفعال " فعل ، فعلت ، فعلنا ، افعلوا " . والمتأمل للدوال المشكلة للبيت : " اسبحوا ، نهر ، دما ، سبحنا " يجدها تضيف دلالات خاصة على البيت ، وهي متناسقة ومتألفة مع بعضها ، لأنها تعود إلى مصدر واحد و دال واحد هو : الماء السائل . وبالعودة لعجز البيت ، تطالعنا صورة مجازية في : " نهر الدما " ، وتمثل كناية عن كثرة القتلى ، و انتصار الذات الشاعرة و من يلوذ بها في المعركة . الدال " الدماء " يحمل اللون الأحمر الذي يحيلنا للثورة ، للمعارك ، وللقتلى و الجرحى . ومن الشعراء الذين افتخروا بفروسيتهم عمرو بن كلثوم فقال :

أَبَا هِنْدٍ ِ فَلَا تَعَجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخْبِرَكَ الْيَقِينَا
بِأَنَا نُورِدُ الرِّيَّاتِ بِيضًا وَنُصَدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا (1)

وقد استعمل مفدي الفعل " سبح " ، استعمالا مجازيا حيث يحمل دلالة خوض غمار المعارك والجهاد المستميت لنيل الحرية . وبالنظر للمركب " نهر الدما " ، خاصة والدال الثاني منه " الدما " نجده ورد بالصيغة المقصورة و قد يوحي كسر الكلمة عن الإسراع لخوض المعركة ، التي ينتزع بها الشعب كرامته المسلوبة .

و نخلص إلى أهم الملامح الدلالية المميزة للفعل " سبح " وهي :

– الحركة – – الانتقال

(1) ديوان عمرو بن كلثوم ، جمع و تح و شرح إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1991 ، ص 71 .

2- س ي ل (سال : يسيل) :

ينتمي هذا الفعل إلى مجموعة أفعال الحركة الانتقالية المرتبطة بوسط سائل وقد سجلت المعجمات دلالاته ، و التي تدور حول معنى؛ الجريان كما جاء في لسان العرب: " سَيْلٌ : سَالَ الْمَاءُ وَالشَّيْءُ سَيْلًا وَ سَيَّلَانَ : جَرَى " (2).

وقد ورد هذا الفعل بالدلالة نفسها في التنزيل العزيز في قوله عز و جل :
" فَسَأَلْتُ أُوْدِيَةَُ بِقَدْرهَا " (3).

والملاحظ على مادة الفعل " سال " أنها تتنوع بتنوع السياقات التي ترد فيها فقد تدل على الحرب والقتال إذا ما اقترنت بالبدال " الدماء " ، وقد تدل على الاشتهااء إذا ما اقترنت باللعباب وفي الغالب الأعم ترد مصاحبة للسوائل نحو : " الماء ، الأمطار ، الدموع " .

و فيما يلي عرض لهم دلالات الفعل " سال " :

وَ لَا قِفَا نَبِكِ... فِي حَائِطِ (1) تَسِيلُ عَلَيْهِ الدُّمُوعُ الغِرَارَا (1)

إذا ما تأملنا الدوال الرئيسية للبيت : " قفا نبك ، تسيل ، الدموع " ألفيناها تتبعث من الذاكرة الشعرية و تعود بنا إلى زمن المعلقات ، إلى امرئ القيس و البكاء على الطلل.

قِفَا نَبِكِ مِنْ نِكْرَى حَبِيبٍ وَ مَنْزِلِ بِسِفْطِ اللّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ (2)

وإذا نظرنا إلى البيتين نلمح تماثلا دلاليا بين صورة المحبوب و صورة الوطن . فالذات الشاعرة في الحالتين تعاني الفقد و الانفصال لفراق الحبيب أو لفراق الوطن .

(2) لسان العرب ، 350/11 ، مادة (س ي ل) .

(3) سورة الرعد ، الآية 17 .

(1) الديوان ، ص 109 .

(2) أحمد بن الحسين الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، دار الأفاق ، ص 09 .

والشاعر " مفدي " ينهى عن البكاء و الوقوف عند الطلل : " ولا بقفا نبك في حائط " ، وهذا انطلاقاً من قناعته بفلسفة اللاجدوى ، فلما البكاء ، طالما لا يعيد الأرض لصاحبها ، والحائط جزء من الأرض .

وبالعودة للدال " الحائط " نجد له جذورا ضاربة في التاريخ ، فهو : حائط المبكى الذي يدعي اليهود أنه من مقدساتهم ، بيد أنه " البراق " من الأرض المغتصبة .

وقد وردت الأفعال " نبك ، قفا ، تسيل " بصيغة المضارع ، الدالة على الاستمرارية فالشاعر يصف الواقع ، و الأنسب من الأزمنة ، زمن المضارع . وفي أول البيت استعمل الشاعر صيغة المثني في " قفا " ، واستعماله هذا إنما يوحي بالوحدة والفراغ اللذان يعاني منهما ، فهو في حاجة لأنيس يشاركه همومه ويقاسمه متاعبه .

وكما سبق ذكره أنفا فإن الفعل في قوله " تسيل " ، قد ورد بدلالته المرتبطة بالسوائل " تسيل عليه الدموع " و لهاته الحركة فضاء قد تحققت فيه وهو الحائط .
و نخلص إلى أهم الملامح المميزة للفعل " سال " :
- الحركة .
- الارتباط بالسوائل .
- الموضوعية .

3- م و ج (تموج : يتموج) :

يصنف هذا الفعل ضمن أفعال الحركة الانتقالية المرتبطة بوسط سائل ، ومن المعجمات التي حددت دلالاته ، معجم لسان العرب حيث جاء فيه : " مَوْجٌ : المَوْجُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْمَاءِ فَوْقَ الْمَاءِ وَالْفِعْلُ مَاجَ وَالْمَوْجُ جَمْعُ أَمْوَاجٍ ، وَقَدْ مَاجَ الْبَحْرُ يَمْوُجُ مَوْجًا وَ مَوْجَانًا وَ مَوْجًا وَ مَوْجًا وَ تَمَّوَجَ اضْطَرَبَتْ أَمْوَاجُهُ... وَ مَاجَ يَمْوُجُ : إِذَا اضْطَرَبَ وَ تَحَيَّرَ ، وَ مَاجَ النَّاسُ : دَخَلَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ٍ ٍ " (1) وقد ورد

(1) ينظر : لسان العرب ، 370/2 ، مادة (م و ج) .

الفعل " موج " بالدلالة نفسها في القرآن الكريم : " وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ " . (2)

والممتنع لتطور دلالة هذا الفعل ، يجدها قد حافظت على دلالتها الأصلية والتي وردت بها في ثنايا المعجمات : " الاضطراب و التداخل " . وقد استعملت هذه المادة استعمالا مجازيا أكثر منه حسي وهذا ما يتجلى بوضوح في المدونة في الشاهد الآتي :

وَ اللَّهُ مِنْ سِينَاءَ كَلَّمَ يَعْزِبًا تَمَاوَجَتْ لِنْدَائِهِ الْأَحْرَارُ (3)

ولا جرم أن القارئ بحاجة للعودة إلى مرجعيات النص ، لتضيء له بعض الجوانب الخفية والمؤكد أن مرجعية هذا النص دينية ، فالله تعالى قد كلم " موسى عليه السلام " لأول مرة من صحراء سيناء من جبل طور. (4) فسمي موسى عليه السلام : كليم الله . (5)

فهذا البيت يتناص والقصص النبوي في هذه الحادثة ، ومن الدوال الدينية التي أحالتنا إلى مرجعية النص الدوال الآتية : " الله ، سيناء " .
ومن دوال الأمكنة الدالة " سيناء " تلك الصحراء الشاسعة ، التي أضفت ميزة خاصة للبيئة وأعطت صورة و سمة طوبوغرافية .

وتمثل حادثة تكليم "موسى عليه السلام" المعادل الموضوعي لخطاب الله تعالى للعرب ودعوتهم للثورة والجهاد لاسترداد أرضهم وتطهيرها بدمائهم الزكية .
وينضوي هذا البيت على فعلين " كلم ، تماوجت " ، وقد جاء الفعل الأول " كلم " بصيغة " فعّل " بتضعيف العين دلالة على التأكيد . أما الفعل الثاني " تماوجت " فجاء بصيغة " تفاعل " الدالة على المطاوعة و الفعلان وردا في زمن ماض . لأن الشاعر في موقف سرد وحكاية لأحداث سابقة .

ويظهر التضاد في " يعربا " كمفرد و " الأحرار " كجمع ، فالله عز و جل قد خاطب فردا " يعربا " فاستجابة الجماعة ، وهذا إن دل على شيء ، إنما يدل على أن الأمة متماسكة ومتضامنة .

ونخلص إلى أهم الملامح الدلالية للفعل " تموج " وتتمثل في:

(2) سورة الكهف ، الآية 99 .

(3) الديوان ، ص 43 .

(4) أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، قصص الأنبياء ، مكتبة الشركة الجزائرية ، 1981 ، ص 311 .

(5) محمد محمد داود ، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة ، دار غريب القاهرة ، 2003 ، ص 455 .

- الحركة
- الانتقال
- ارتباطه ببيئة الماء
- الاضطراب و التداخل

سأبين في الجدول الآتي الملامح الدلالية لأفعال المجموعة :

جدول التحليل التكويني لأفعال الحركة الانتقالية المرتبطة بوسط سائل :

تفوج	سال	سبح	الفعل الملاحح الدلالية
+	+	+	الحركة
+	+	+	الانتقال
+	+	+	وسط الحركة (الماء)
+	-	-	التداخل و الاضطراب

أفعال الحركة التي تنتهي إلى ثبات و استقرار:

تتألف هذه المجموعة من خمسة أفعال مرتبة ترتيباً هجائياً ، والملاحظ أن القاسم المشترك لأفعالها يتمثل في بعض الملاحح نحو : " الحركة ، الانتقال اللذان ينتهيان إلى ثبات واستقرار " ، ثم ينفرد كل فعل بملمح تمييزي خاص به .

المادة	الفعل	
01	ب ل غ	(بلغ : يبلغ)
02	غ ل ق	(غلق : يغلق)
03	ف ت ح	(فتح : يفتح)
04	ق و م	(قام : يقوم)
05	و ق ف	(وقف : يقف)

وبعد أن رتبنا الأفعال في الجدول ، سأتناول بالدراسة كل فعل على حدى بدءا بالدلالة المعجمية ، ثم السياقية وذلك من خلال دراسة الفعل في المدونة، لأصل إلى أهم ملامحه الدلالية المميزة له في بقية أفعال المجموعة .

1- ب ل غ (بلغ : يبلغ) :

يصنف هذا الفعل ضمن أفعال الحركة التي تنتهي إلى ثبات واستقرار ، وقد وردت دلالاته في المعجمات بمعنى : الانتهاء و الوصول ، حيث جاء في لسان العرب : " بَلَغَ الشَّيْءُ يَبْلُغُ بُلُوعًا وَ بَلَغًا وَصَلَ وَانْتَهَى " . (1)

وقد ورد هذا الفعل في القرآن الكريم بالدلالة نفسها في قوله عز و جل : " وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۖ بِمَعْرُوفٍ " . (2)

ويلحظ أن الفعل " بلغ " حافظ على دلالاته الأصلية التي ورد بها في المعجمات ، وهذا ما سيتضح لنا عند تحليل البيت الآتي :

هَذِي الْجَمَاهِيرُ كَالْأَمْوَاجِ هَائِجَةٌ ۖ وَ الرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنَّا تَرَاقِينَا (3)

يلجأ الشاعر للطبيعة فيستعير منها تلك الصورة المرئية ، التي تموج بالحركة حركة الأمواج في علوها وانخفاضها، في مداها وجزرها ، في تلاطمها وارتطامها . وما يزيد تلك الحركة اضطرابا الدال " هائجة " ، بما يحمله من دلالات " الهيجان ، الثوران عدم الاستقرار " .

وهذا المشبه به " الأمواج " قد صور لنا الجماهير المحتشدة ، التي ضاقت بها الدروب إثر سماع صوت الناعي ، فتاهت عن دربها ، وأخذت تروح و تجيء في حركة فوضوية عشوائية .

وبهذا يكون الشاعر قد استعمل صورة بيانية بالغة الأثر ، رسم فيها الحركة بفضائها و بكل أبعادها .

ويتحقق التماثل الدلالي بين حركة الأمواج و هيجانها ، وحركة الجماهير وثورانها .

وبالاتجاه نحو عجز البيت نلمح تماثلا دلاليا آخر ، فجملة " والروح قد بلغت منا تراقينا " تمثل حالة الاحتضار ، أي : صورة الشخص المحتضر المفارق للحياة في لحظاته الأخيرة والروح في صعود و نزول أي عدم استقرار .

(1) لسان العرب ، 419/08 ، مادة (ب ل غ) .

(2) سورة البقرة ، الآية 231 .

(3) الديوان ، ص 21 .

وهذا ما دعا الشاعر لاستعمال الصيغة " قد فعل " في " قد بلغت " القريبة من الحال (1) فالروح قد قربت إلى الانتهاء و الاستقرار .

وفي عجز البيت يحيلنا الشاعر إلى مرجعية دينية تعود إلى أصول هذا النسيج وهي النص المقدس واحتضار الإنسان و ذلك في قوله تعالى : " كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ " (2) .

ومن الأدوات التي استعملها الشاعر أداة الإشارة في أول البيت "هذي " ، فمن خلالها أحالنا مباشرة إلى الصورة المرئية .وهي إحالة بعدية تحيل إلى الجماهير المحتشدة ، التي شبهت بالأمواج الهائجة .

- وقد هيمن ضمير الجمع في البيت في الدالين : " منا ، تراقينا " .
- ونخلص إلى أهم الملامح الدلالية للفعل " بلغ " و تتمثل في :
- الحركة . - الاتجاه الرأسي . " من أسفل إلى أعلى " .
- الثبات و الاستقرار . - الموضوعية .

2- غ ل ق (أغلق : يغلق) :

قد حددت المعجمات الدلالة الحركية للفعل " أغلق " ، و منها ما جاء في لسان العرب : " عَْلَقَ الْبَابَ وَ أَغْلَقَهُ وَ عَْلَقَهُ ... وَ انْعَلَقَ وَ اسْتَعْلَقَ إِذَا عَسَرَ فَتَحَهُ " (3) .

ومما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : " وَرَاوَدَتْهُ التَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ " (4) .

وقد ورد الفعل " أغلق " في مواضع عدة من الديوان بالدلالة نفسها ، وهي فعل حركي يدل على سد منفذ معين ، قد يكون بابا ، كما ورد في معجم لسان العرب ، وكذا في الآية الكريمة، وقد يختلف عن ذلك ليكون للنافذة ، أو لطريق معين ، أو ما شابه ذلك .

ونستنتج أن اختلاف دلالة الفعل من حسية إلى معنوية ، يختلف حسب السياق الذي يرد فيه . كقولنا مثلا " أغلقت الدنيا في وجهي " ، فالإغلاق له دلالة معنوية .

(1) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ، المكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، طم ، 1978، ص 171، و ينظر: مالك يوسف المطلبي ، الزمن و اللغة ، ص 106 ، و مهدي المخزومي ، نقد و توجيه ، ص 155 .

(2) سورة القيامة ، الأيتان 26 ، 27 .

(3) ينظر: لسان العرب ، 291/10 ، مادة (غ ل ق) .

(4) سورة يوسف ، الآية 23 .

وبالعودة للأبيات المدونة تتضح دلالة الفعل أكثر فأكثر :

وَ قَضِيَّةٍ قَدْ غُلِّقَتْ أَبْوَابُهَا مَذْ ضَاعَ مِنْ يَدِ أَهْلِهَا الْمِفْتَاحِ (1)

لا شك أن قارئ هذا النص بحاجة للعودة للسياق التاريخي ، ليضيء له بعض الجوانب بالقضية هنا تخص فلسطين الذبيحة تلك الأرض المغتصبة ، تلك المحنة العربية .

فالقضية المغلقة الأبواب تمثل المعادل الموضوعي لقضية فلسطين المغتصبة والدوال الرئيسة للبيت : " غلقت " ، " ضاع " ، " المفتاح " توحى بحالة الفقد والضياع والتشتت ، حيث تعكس واقعا متأزما ، ومشكلا يغيب حله فهي كالباب الذي فقد مفتاحه . وقد جاء الفعل في قوله : " قد غلقت " بصيغة " قد فعل " . أما الفعل الثاني " ضاع " فقد ورد بصيغة الماضي " فعل " ولكن هذه الصيغة قد سبقها ظرف زمان " مذ " .

والشاعر بهاته الصيغة " مذ ضاع " ، و " قد غلقت " التي هي صيغ قريبة من زمن الحاضر جعل القضية قريبة من حيث حدوثها ، ليستتهض الهمم ، و يدعو الشعب للمجابهة والإسراع لإيجاد الحل المناسب ، بهذا التقريب الزمني ، فالأوان لم يفت بعد .

وقد ورد الفعل " غُلِّقَتْ " بالتضعيف، أي: بصيغة " فُعِّلَ " الدالة على المبالغة. فالجملة " قد غلقت الأبواب " من خلال التضعيف لعين الفعل " غلقت " ، تحمل دلالة : الإحكام في سد المنفذ . وقد قصد الشاعر بهذا الصيغة أن يثير اهتمام الشعب لإيجاد الحل الأكثر فاعلية .

وإذا تأملنا الدالين : " أبوابها ، المفتاح " ألفينا تضادا ، حيث أن الدال الأول : " الأبواب " هو جمع لمفرد باب ، بينما الدال الثاني : " مفتاح " هو مفرد فالشاعر يرى أن لهاته القضية حل وحيد هو : الحرية المنتزعة بالقوة .

(1) الديوان ، ص 117 .

ويلحظ على هذا البيت ؛ هيمنة ضمير الغياب بشكل واضح في : " أبوابها ، أهلها " فالضمير " ها " إحالة قبلية سابقة عائد على " قضية " وهذه الإحالة جعلت النص مترابطا منسجما .

وضمير الغياب يناسب حالة الفقد و الاستلاب و الانفصال ، واللانتماء ، واللاهوية " التي يعانيتها الشعب في كنف أرضه و أرض أجداده .

ونصل إلى أهم الملامح الدلالية للفعل و تتمثل في :

- الحركة . - الانتهاء إلى ثبات و استقرار .

- الموضوعية . - سد منفذ معين .

3- ف ت ح (فتح : يفتح) :

يصنف هذا الفعل ضمن مجموعة أفعال الحركة التي تنتهي إلى ثبات و استقرار ومن المعجمات التي حددت معناه ، معجم لسان العرب حيث جاء فيه : " فَنَحَ : الفَتْحُ : نَقِيضُ الإِغْلَاقِ فَتَحَهُ يَفْتَحُهُ فَتْحًا وَ أَفْتَحَهُ وَ فَنَّحَهُ فَانْفَتَحَ وَ نَفَّحَهُ " . (1)

وقد ورد الفعل " فتح " بالدلالة نفسها في قوله تعالى : " وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ " . (2)

وتتنوع دلالة هذا الفعل بتنوع السياقات التي يرد فيها ، فقد يكون المفعول به أي " المفتوح " كتابا مثلا ، أو عضوا نحو : " فتح عينيه " فتكون الدلالة هنا حسية . أما إذا قلنا " فتح قلبه " ، فالدلالة تتحول من حسية إلى مجازية . وسيتضح كل ما ذكر آنفا بالعودة لأبيات المدونة :

مَاذَا أَرَى؟ جَنَاتُ عَدْنٍ ِ فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا ؟ أَمْ مَوْطِنِي وَ دِيَارِي؟ (3)

و بالنظر للفعل " فتح " و للسياق الذي ورد فيه ، نجده يحمل دلالة مجازية و هي : الترحيب بالغائب ، " فتح الأبواب " دلالة على الترحيب بالقادم .

(1) لسان العرب 536/2 ، مادة (ف ت ح) .

(2) سورة يوسف ، الآية 65 .

(3) الديوان ، ص 12 .

ويأتي الاستفهام في هذا البيت ، معتمدا على حاسة البصر في الدال " أرى " و الذي يحمل إجابة ويجسد صورة الفردوس ، فالمركب " جنات عدن " هو في له دال ديني مقتبس من القرآن الكريم فهو يكتنز بالدلالات و الأوصاف المتفردة .

وقد ورد الفعل " فتح " بصيغة الماضي " فعل " ، خلافا للفعل " أرى " الذي يحمل صيغة المضارع " أفعل " . ويحمل الفعل " فتح " دلالة مجازية في هذا البيت . وإذا ما تأملنا البيت لمحنا تماثلا دلاليا بين " جنات عدن " و " موطن الشاعر " فهذا الأخير يحمل معان جميلة ، فهو صورة للأهل ، للأصدقاء ، وللحبيبة ، وهذا نوع من الإسقاط النفسي .

وقد هيمن ضمير المتكلم على البيت ، فالذات الشاعرة هي الفاعل والمحرك للأحداث ، و إذا ورد ضمير الحضور بشكل واضح مصاحبا للدوال الآتية :
" أرى ، موطني ، دياري " . وأهم الملامح الدلالية للفعل " فتح " :
- الحركة - الانتقال - إنتهاء الحركة إلى ثبات و استقرار

4- ق و م (قام : يقوم) :

من المعجمات التي حددت الدلالة الحركية للفعل " قام " ، معجم لسان العرب حيث جاء فيه : "... يَجِيءُ الْقِيَامُ بِمَعْنَى الْوُقُوفِ وَ الثَّبَاتِ ، وَمِنْهُ قَامَتِ الدَّابَّةُ إِذَا وَقَفَتْ عَنِ السَّيْرِ " .⁽¹⁾ وقد ورد الفعل في القرآن الكريم بالدلالة نفسها في قوله تعالى :
" وَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى " .⁽²⁾

ونستنتج مما أوردناه سابقا أن الفعل " قام " له دلالة حركية موضعية مناقضة لحركة الجلوس ، تفيد التحول من موضع الجلوس إلى موضع القيام . وتتوعد دلالة هذا الفعل بين الدلالة الحسية الحركية و الدلالة المعنوية ، كما يتميز بمدى دلالي واسع حيث يدل على : الوقوف ، و على أداء الفعل ، و الإقامة بموضع معين ، و دلالة منع حدوث الشيء أي : المقاومة ، وله دلالة دينية عند قولنا " قام الليل " ، وغيرها من الدلالات وأعرض لأهمها في الشواهد الآتية:

(1) ينظر: لسان العرب 497/12، مادة (ق و م) .

(2) سورة النساء ، الآية 142 .

فَلَكَ الْحَادِثَاتُ بِالْيَمَنِ دَارًا... أَيُّهَا الشَّعْبُ قُمْ ، نُحِي النَّهَارًا (3)

تستوقفني هاهنا دالة المكان " اليمن " ، ودالة الزمان " النهار " ، والشاعر يتأمل الأحداث ودورانها و يشبها بالفلك، فهي في حركة دائرية دائمة دون انقطاع .
وينتقل الشاعر انتقالا مباشرا من النداء : " أيها الشعب " إلى الفعل حيث خاطب الشعب وحده فلم يخاطب السلطة ولا الحاكم ، و هنا تظهر قيمة الشعب : القوة الجماعية وأمرها بفعل " قم " فخاطب الجمع بالمفرد ، وهذا إن دل على شيء ، إنما يدل على التحام الشعب وتكاتفه .
وألحق الشاعر بالفعل الأول فعلا ثان " نحي " ، دون رابط بين الفعلين دلالة على الاستعجال لتدارك الوضع ، وهو خروج من الحالة السكونية إلى الحركة .
والحركة تمثلت في الفعل " قم " الذي ورد بصيغة الأمر . فالشاعر يبعث في الشعب القوة والعزيمة ، ويستنهض الهمم ليدفع الظلم والقهر عن المستضعفين .
وإذا تأملنا الدال " النهار " ، وجدناه دالة زمانية توحى " بالإشراق ، الضياء والنور الحياة و تجدها ، التفاؤل والأمل " . ومنه فهاته الدلالات تمثل المعادل الموضوعي لما في نفس الشاعر من أمل في الانعتاق ، وفي قلب صفحة الحاضر حتى تصبح ماض . والمفارقة هنا في استعمال الشاعر للفظه النهار بجوار الفعل " نحي " .

نَمْنَا وَ مَا نَامُوا وَ قَامُوا وَ لَمْ نَقُمْ وَ قُلْنَا وَ مَا قَالُوا بِغَيْرِ الْهُجُومَاتِ (1)

المتأمل لهذا البيت يلقي أن دواله الرئيسة الآتية : " نمنا ، ما ناموا ، قاموا ، لم نقم ، قلنا، ما قالوا " وردت بمعان : " الاستلاب ، الكمون و السكون ، الانطفاء واللاجدوى " ، وكأن الذات الشاعرة تصف واقعها و هي واعية و لا واعية ، فهي سجينه متحررة ، مسلوبة الإرادة واقعة تحت التخدير ، فهي تدرك فعل الآخر ، و يغيب عنها فعلها .

(3) الديوان ، ص 28 .
(1) الديوان ، ص 236 .

وقد توحدت الذات الشاعرة ضمن الجماعة ، وهذا ما يظهر من خلال الدوال الآتية : " نمنا نقم ، قلنا " في ضمير الجمع : " نحن " ، وفي مقابل ضمير الغائب " هم " في " ناموا ، قاموا قالوا " .

والملفت للانتباه في هذا البيت هو هيمنة الثنائيات الضدية بشكل جلي ، والتي تكونت بين السلب والإيجاب : " نمنا وما ناموا " ، " قاموا و لم نقم " ، " قلنا و ما قالوا " اعتمادا على أداتي النفي " ما و لم " ، فالتضاد هنا بين الأفعال : " فعل إيجابي ، وفعل سلبي " .

ويحتشد البيت بالأفعال التي تبعث الحركة في النص ، و قد تلونت صيغ الأفعال بين " فعلنا ، فعلوا ، نفعل " ، و قد سيطر الزمن الماضي على تلك الصيغ ماعدا الفعل " نقم " الدال على صيغة المضارع من حيث الصيغة ، ولكنه ماض من حيث الدلالة أي : لم نقم في الوقت الذي قاموا فيه .

أما الدال " الهجومات " فقد ورد بصيغة الجمع الدالة على الكثرة ، حيث لم يكتفي الطرف الآخر بهجوم ، وإنما تعداه إلى عدة هجومات . مما يؤكد انتصاره على الذات الشاعرة و قومها .

ويتحول السكون في البيت إلى حركة مباشرة نحو : " ماناموا و قاموا " فأتى القيام كفعل مباشر بعد السكون " النوم " .

كما تحول " فعل القول إلى حدث " مباشرة في " وما قالوا بغير الهجومات " فقد أصبح " القول معادلا موضوعيا للحركة الهجومية " ، وعلى هذا أصبحت حركة اللسان معادلة لحركة اليد . فقد اختار الطرف الآخر القوة كأسلوب لإثبات الكينونة و الهوية .

ونخلص إلى أهم الملامح الدلالية للفعل " قام " :

- الحركة .
- المدى الدلالي الواسع للفعل .
- الاتجاه إلى أعلى .
- الموضوعية .
- معنى الوقوف ثم الثبات .

5- وقف (وقف : يقف) :

يصنف الفعل " وقف " ضمن مجموعة الأفعال التي تنتهي إلى ثبات و استقرار ، ومن المعجمات التي حددت دلالاته ، معجم لسان العرب حيث جاء فيه : " الوُقُوفُ : خِلافُ الجُلُوسِ ، وَ قَفَ بِالْمَكَانِ وَقَفًا وَ وُقُوفًا " (1)

ويلحظ أن هذا الفعل يتمتع بمدى دلالي واسع للغاية ، يتنوع بتنوع السياقات التي يرد فيها كدلالة القيام ، و دلالة التأمل ، ودلالة لفت الانتباه .

وبالعودة للمدونة نحاول الوقوف عند أهمها :

كَمْ وَقَفْنَا مَعَ امْرِئِ الْقَيْسِ نَبْكِ فَعَلَمْنَا أَنَّ الْبُكَاءَ لِلثَّكَّالِي (1)

يشير هذا النص إلى ميزة خصت بها القصيدة الجاهلية ، وهي تلك المقدمة الطللية ، أو الاستهلال أي البكاء عند الأطلال و الرسوم الدارسة . فهذا البكاء هو انعكاس لنعفسية الذات الشاعرة المتأزمة ، وهو شاهد و صورة عن مأساة الإنسان عبر الزمن .

فالطلل شاهد وحيد عن معاناة الإنسان من وجع الفراق ، وهذه المأساة تتكرر مع اختلاف الشخوص و الأمكنة : " المحبوب ، و الطلل " . ويمثل صدر البيت الزمن الماضي ، زمن البكاء ، أي الفعل السلبي واللاجدوى ، أما العجز فيمثل الصحوة والفعل الإيجابي المغير . وقد أضفت الدوال : " وقفنا ، نبكي ، البكا الثكالي " ، جوا كئيبا يوحى بالبكائية . والنص بدوره يحيلنا إلى مرجعياته ، فنجد امرئ القيس ماثلا في هذا النص :

قَفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَ مَنْزِلِ بِسِطْرِ اللَّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ (2)

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، 359/09 ، مادة (و ق ف) .

(1) الديوان ، ص 71 .

(2) الزوزني ، شرح المعلمات السبع ، ص 09 .

وقد استهل مفدي بيته بالأداة : " كم " الخبرية ، التي توحى بالكثرة و تكرار الوقوف ، و البكاء عند ذلك الطلل.

وأفعال هذا البيت قد أسندت لضمير الجمع " وقفنا ، نبكي ، علمنا " ، والفعل " وقفنا " قد ورد بصيغة الماضي " فعل ". فالشاعر يعود إلى ماضيه ، ويتذكر بعض المواقف التي أدمعت عيناه .

ونلمح في هذا النص ظاهرة قصر الممدود في " البكا ، البكاء " ، فقد وردت اللفظة " البكا " بالصيغة المقصورة . حيث يوجد قطع مباشر للبكاء ، انطلاقاً من قناعة الذات الشاعرة بفلسفة اللاجدوى . ذلك أن الشاعر لا يود الترجم بهذه الكلمة التي تبعث الألم و الحزن في النفوس ، وتلك فلسفته على أن البكاء لا طائل منه . و من ثم لم يلحق آخرها المد مبالغة في الترجم ، و بتعبير آخر لم يطل الصوت و يمدّه . و قد لاحظ ابن جني أثر دلالة مطل بعض حركات الكلام و يسميه " مطل الحركات " (1).

ومن المشتقات الدالين : " نبكي ، البكا " .

و من أهم الملامح الدلالية للفعل " وقف " أذكر :

- الحركة

- الانتقال

- الاتجاه إلى أعلى

(1) ينظر : ابن جني ، الخصائص ، تح: محمد على النجار ، دار الهدى للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 2 ، (د ، ت) ، 123/03 .

و سأوضح في هذا الجدول الملامح الدلالية لأفعال المجموعة :

جدول التحليل التكويني لأفعال الحركة الانتقالية التي تنتهي إلى ثبات و استقرار

وقف	قام	فتح	أغلق	بلغ	الفعل الملاح الدلالية
+	+	+	+	+	الحركة
+	+	+	+	+	الانتقال
+	+	+	+	+	انتهاء الحركة إلى ثبات و استقرار
+	+	-	-	+	الاتجاه إلى أعلى
+	+	+	+	+	الموضعية